



## الهدى والضلال

المقالات

اللقاء الثامن من تفسير سورة سبأ | شرح الآيات 46-54

2024-08-26

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين، اللهم علِّمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا رب العالمين.  
هذا لقاءنا الأخير من لقاءات سورة سبأ، ومع الآية السادسة والأربعين من السورة وهي قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
قُلْ إِنَّمَا أَعْطُكُمْ بِوَأْدِهِ ۚ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَى قُرْآنِي ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (46)

(سورة سبأ)

### معنى الوعد:

أيها الكرام: (قُلْ) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم، (إِنَّمَا أَعْطُكُمْ بِوَأْدِهِ) والوعد هو أن تذكر إنساناً بشيء يعرفه ولكن غاب عنه هذا الشيء، أصل الوعد أنك تذكر إنساناً بشيء يعرفه ولكن نسيه أو غفل عنه في رحمة الحياة، فتعيبه، والوعد فيه بشارة ونبذارة، يعني أن تقول له إن فعلت كذا فلك الجنة، وإن فعلت ذاك فيخسئ عليك أن تستحق عذاب النار، فتعطيه، تزجره عن شيء سيء وتشجعه على شيء حسن، (قُلْ إِنَّمَا أَعْطُكُمْ بِوَأْدِهِ) أعطكم بواحدة، أي لن أكثر عليكم الوعد، هي موعظة واحدة، وقد ورد في السنة الصحيحة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتخولنا بالموعظة مخافة السامة

{ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُدَكِّرُنَا كُلَّ يَوْمٍ حَمِيسٍ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّا نُحِبُّ حَدِيثَكَ وَتَسْتَهِيهِ، وَلَوْ دَرْنَا أَنَّكَ حَدَّثْتَنَا كُلَّ يَوْمٍ، فَقَالَ: مَا يَمْتَعُنِي أَنْ أُحَدِّثَكُمْ إِلَّا كَرَاهِيَةً أَنْ أُمَلِّكُمْ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْأَيَّامِ، كَرَاهِيَةَ السَّامَةِ عَلَيْنَا.

أي يعظهم بين الحين والآخر لئلا يملوا، وهذا أدب تربوي قرآني وتبوي، أنت عندك أولاد، إذا أكرت الوعظ كل يوم، كل ما فعل شيء تقول له هذا لا تفعله، هذا خطأ، هذا ممكن وهذا غير ممكن، فيمّل، ويشعر وكأن المراقبة عليه قد أصبحت شديدة فيمّل، أمّا إذا تحوّله بالموعظة، كل يوم وجهته بشيء محدد، ثم غبت عنه، ثم عدت بالموعظة، فإنه يستمع منك.

**(قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاجِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ) اجعل قيامك لله في كل شأن من شؤون حياتك، أعظم موعظة أن تقوم لله، ليس القيام هنا بمعنى أن تقف على قدميك، ولكن بمعنى أن تكون حركتك سواء كنت قائماً أو قاعداً، أن تكون لله، قال إبراهيم عليه السلام:**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162)

(سورة الأنعام)

فأن تجعل قيامك لله، حركتك لله، توجهك لله، أهدافك لله، طموحاتك لوجه الله، **(أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ)** ألا يكون قيامك إرضاءً لغني أو فوي، لطاغية لمن هم من أهل الأرض، اجعل قيامك خالصاً لوجه الله، **(قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاجِدَةٍ)** موعظة واحدة، لكن تحتها آلاف البنود، أي إذا صح قيام الإنسان لله فلم يبق شيء، كله سيكون وفق المنهج خالصاً لوجه الله، هي واحدة ولكن تندرج تحتها آلاف مؤلفة من البنود، اجعل قيامك لله، هذا الدرس الأول.  
**(أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَتْنِي وَفَرَادِي)** لماذا متنى وفرداي؟ القرآن يحض على المجموع.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالشَّافِيِّينَ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62)

(سورة البقرة)

واو الجماعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (119)

(سورة التوبة)

## الإسلام والقرآن يحضّان على المجموع:

فالإسلام يحضّنا على الجماعة، وأن نجتمع على الخير، وأن نسعى للخير، لكن هنا لماذا قال متنى وفرداي؟ متنى يعني اثنين اثنين، أنت وأخ لك، وفرداي يعني وحدك، لماذا جعل القيام هنا متنى وفرداي؟ قال لأن الإنسان عندما يكون حاله من الذين يخاطبهم الله تعالى في هذه الآيات، وهو يخاطب هنا المشركين البعيدين عن الحق، فإنه عند وجوده مع المجموع بشكل دائم، هناك من يثبته عن عزمه، هناك من يمنعه مما هم به بالحق، نحن جماعة المؤمنين نتجمع على الخير دائماً، كل واحد فينا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فاجتماعنا خير، لكن هم اجتماعهم يكون على باطلٍ دائماً، يجتمعون على الباطل، فإذا هم إنسانٌ يفعل خيراً أقعدوه عنه، فالجماعة عندما تمنعك من الخير فقم لله فرداً، أو مع أخ لك تثق به، لكن عندما تكون الجماعة تأمرك بالخير وتحضك عليه فهي نعمة، فالجماعة نعمة أو نقمة، مجموع المؤمنين نعمة، لكن مجموع المُبطلين نقمة، لذلك هنا قال متنى وفرداي، لأن مجموعكم دائماً يأمركم بالمنكر.

أبو طالب ما الذي منعه من الإسلام؟ قال: وتغيرني قريش، تقول إنما أسلم مخافة الموت، كان الذي يمنعه رغم أنه ناصر نبي الله صلى الله عليه وسلم، كان الذي يمنعه هو من حوله، البطانة السيئة، التي تأمره بالمنكر وتناه عن المعروف، فالإنسان أحياناً بحاجة لحظة فيها صفاء فكري، يناقش الموضوع فيه وحده، فيقول لماذا فعلت كذا؟ ما الذي يمنعني من كذا.

تُعِيم بن مسعود رجلٌ أصبح من كبار الصحابة، في معركة الخندق المسلمون على طرف والمشركون على طرف، وهو في خندق المشركين، وجاء من بني عطفان ليُتحد مع قريش مع الأحزاب ليحارب رسول الله صلى الله عليه وسلم، في الليل جلس مع نفسه جلسة صفاء، استلقى في خيمته ولم يأته النوم، فليق، حربٌ ضروس، نظرت في السماء، النجوم وما فيها من غير، بدأ يخاطب نفسه، حوار داخلي يُسَمُّونه، يا نُعِيم ما الذي جاء بك من سهلك ويدوك وجيلك لتتخارب هذا الرجل، أترأه قتل لك أحداً، سفك دمًا، انتهك عرضاً، ما الذي جاء بك لتتخاربه؟ انتفض من وقته وتسلل إلى المسلمين، واستند على خيمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عليه، وقف النبي قال: نُعِيم؟ قال: نُعِيم، قال: ما الذي جاء بك؟ قال: جئتُك مسلماً، فأمرني بما شئت ولن يعلموا بإسلامي، فقال خذل عنا ما استطعت، إنما أنت فينا امرؤ واحد، لكن بإمكانك أن تخذل، وكان نُعِيم أحد أسباب النصر في الخندق، لأنه أوقع بين اليهود المتجمهرين مع الأحزاب وبين قريش، فقال لقريش إن اليهود جاؤوا وسيطلبون منكم رهائن، حتى إذا حصل شيء يكون لديهم رهائن، وجاء لقريش وقال لهم إذا طلبوا الرهائن لا تعطوهم الرهائن، لأنهم سيقتلونهم، فذبّ الخلاف بينهم وأرسل الله ربحاً اقتلعت قلوبهم، وما كان من تجمعهم، وانتصر المسلمون وكان أحد أسباب انتصارهم نُعِيم، وكان أحد أسباب إسلامه، ووفقه صادقة مع النفس، قام لله فرداً، تفكر، ما الذي يدفعني لماذا أفعل، لما خلا له الجو انتصرت الفطرة على نوازع الشر.

فقال: **(إِنَّمَا أُعْطِكُمْ بِوَأَجْدَةٍ أَنْ تَعُومُوا لِلَّهِ مَنِئى وَفَرَادَى)** إِمَّا أَنْتَ وَشَخْصٌ تَتَّقُ بِهِ، تعطيه فكرة فيؤكدها لك، أو أن تقوم لله وحدك، مثنى وفردى، المجموع هنا ليس له أي قيمة، لأنه مجموع على الباطل.

قال: **(نَمْ تَتَفَكَّرُوا)** هذه اللحظة التي قلنا فيها لحظة التفكير، ما هو التفكير هنا؟ قال: **(مَا بِصَاحِبِكُمْ مِّنْ حِجَّةٍ)** صاحبكم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يقل ما برسول الله من حجة، وإنما قال بصاحبكم لأنهم يعرفونه، يلقبونه بالصادق الأمين، يعرفونه قبل البعثة، ويعرفون من هو، ويعرفون أنه ما كذب عليهم قط، فلماذا يكذب عليهم الآن؟ المجموع كما قلنا أحياناً يكون نعمة، لما النبي صلى الله عليه وسلم، جمعهم بعد البعثة وأراد أن يُعلن، قال لهم لو كنت أخبرتكم أنّ خيلاً يُغير عليكم من خلف هذا الوادي أكنتم مصدقين؟ قالوا نعم، ما جرّبتنا عليك كذباً، قال: **(تَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ)** قام أبو لهب وقال: تبا لك ألهذا جمعنا، أنت كذاب، الآن تقول إنني صادق وأمين، بلحظة تحوّل!

{ لَمَّا تَرَلْتُ: {وَأَنْذَرْتُ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} [الشعراء: 214] صَعِدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الصَّفَا، فَجَعَلَ يُتَارِي: يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ -

لِيُطَوِّنَ قُرَيْشِيَّ - حَتَّى اجْتَمَعُوا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أُرْسَلَ رَسُولًا لِيُنْطَرَّ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَفُرَيْشٌ، فَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ

أَخْبَرْتُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغَيِّرَ عَلَيْكُمْ؛ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي؟ قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا، قَالَ: فَإِنِّي نَذِيرٌ لَّكُمْ

بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ، فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟! فَتَرَلْتُ: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ \* مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ

مَالُهُ وَمَا كَسَبَتْ} {

(أخرجه البخاري ومسلم)

المجموع أيضاً عندما الرجل اليهودي ابن سلام، لما دخل مع المجموع، لما قال لهم أتعرفونني؟ قالوا نعرفك، أنت خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، فلما قال لهم أسلمت مع محمد صلى الله عليه وسلم، قالوا أنت شرنا وابن شرنا، وسبنا وابن سبنا، قوم بهت كذب.

{ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ، بَلَغَهُ مَقْدَمُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ فَأَتَاهُ تَسْأَلُهُ عَنِ أَشْيَاءَ، فَقَالَ: إِنِّي سَأَلْتُكَ عَنْ ثَلَاثٍ لَا تَعْلَمُهُنَّ إِلَّا تَيْبِي، مَا

أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟ وَمَا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ؟ وَمَا بَالُ الْوَالِدِ يَنْزِعُ إِلَى أَبِيهِ أَوْ إِلَى أُمِّهِ؟ قَالَ: أَخْبَرَنِي بِهِ جِرْبَلُ بْنُ أَنَسٍ قَالَ ابْنُ سَلَامٍ: ذَلِكَ

عَدُوُّ الْيَهُودِ مِنَ الصَّلَاةِ، قَالَ: أَمَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَتَارٌ تَحْشُرُهُمْ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ، وَأَمَا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرِيَادَةُ كَبِيدِ

الْحُوبِ، وَأَمَا الْوَالِدُ فَإِذَا سَبَقَ مَاءَ الرَّجُلِ مَاءَ الْمَرْأَةِ تَرََعَ الْوَالِدَ، وَإِذَا سَبَقَ مَاءَ الْمَرْأَةِ مَاءَ الرَّجُلِ تَرََعَتِ الْوَالِدَ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّكَ

رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّ التَّهْوَدَ قَوْمٌ بُهْتُ قَاسَاهُمْ عَنِّي، قَبِلْتُ أَنْ يَعْلَمُوا بِإِسْلَامِي، فَجَاءَتِ التَّهْوَدُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

أَيُّ رَجُلٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ فِيكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرُتَا وَابْنُ خَيْرِيَتَا، وَأَفْضَلُتَا وَابْنُ أَفْضَلِيَتَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ

أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ قَالُوا: أَغَادَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ، فَأَعَادَ عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا: مِثْلَ ذَلِكَ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، قَالُوا: شَرُّتَا وَابْنُ شَرُّتَا، وَتَتَّقُوهُ، قَالَ: هَذَا كُنْتُ أَحَافٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ {

(صحيح البخاري)

## العبرة في وجودنا مع المجموع أن نُطبّق سياسة شدّ الحبل:

فالمجموع كثيراً ما يكون دافع للسوء وليس للخير، لذلك نقول دائماً العبرة في وجودنا مع المجموع أن نُطبّق سياسة شدّ الحبل، فمتى كان وجودك مع المجموع يؤدي بك أن تشدهم إليك فافعل، ومتى كان وجودك مع المجموع السيء طبعاً، أن يشدّوك إلى المنكر فاتركهم، القوة بيدك وأنت تشدّ الناس إلى الله فافعل، القوة بيدهم وهم يشدونني إلى معاصيهم ومنذآياتهم وأهوانهم فأعرض عنهم.

**(قُلْ إِنَّمَا أُعْطِكُمْ بِوَأَجْدَةٍ أَنْ تَعُومُوا لِلَّهِ مَنِئى وَفَرَادَى نَمْ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِّنْ حِجَّةٍ)** النبي صلى الله عليه وسلم لما جاءهم بالدعوة إلى الله تعالى انهموه بالجنون، وهي الجنة بكسر الجيم، وهو غياب العقل، ستر العقل وغيابه جنون، هو الجنة هي الوقاية التي تستر بينك وبين المعصية، فالصيام جنة، والجنة هي تلك الدار التي أعدّها الله للمتقين، وسُمّيت جنةً لأن الأغصان فيها تكانفت حتى أصبحت ظلاً ممدوداً، غطت وجه الأرض، فهي جنةٌ وجنةٌ وجنةٌ، كلمة مثلثة، فالجنون هو غياب العقل، والنبي صلى الله عليه وسلم انهم بهذه التهمة، والله تعالى ذكر هذه التهمة في كتابه، ساحر، مجنون، شاعر، كاهن، كذاب، حاشاه صلى الله عليه وسلم، لكن الله تعالى ذكر هذه التهمة في كتابه، التي اتهم بها أهل الباطل، ليُبين أولاً أنّ هذا القرآن هو كلامه، فالإنسان لا يُبَيّن في سيرته الذاتية ما تكلم به أعدائه.

أنا اليوم إذا أردت أن أكتب سيرة ذاتية لنفسي، وهناك شخصٌ سفيه عليّ بالباطل، فلا أذكر في سيرتي الذاتية أنّ فلان قال عني كذا وكذا وأحذفها، لكن الكلام لأنه ليس كلام محمد صلى الله على نبينا محمد، فإنّ الله تعالى ذكرهم الباطلة في القرآن، يقرؤون ما قالوه في كتاب الله تعالى، ثم وهو الأهم، من أجل أي داعية أو أي شخص يدعو إلى الحق ثم ينهمه الناس في دينه وفي عرضه وفي كلامه، من أجل أن يكون له في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة، فيقول في داخله من أنا أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم، تكلموا عن رسول الله واتهموه بالسفه والجنون والكذب، فمن أنا، فإن أتحمّل في سبيل الدعوة وليقولوا ما شاءوا، هذا هو العبرة من ذكر هذه الصفات في كتاب الله رغم بطلانها.

لكن الله تعالى دعاهم أن يقفوا وقفةً صادقةً مع أنفسهم، وبتفكيرنا أنّ هذا الرجل الذي تصفونه بالجنون هو سيد الحكماء، والرجل الذي دعوتهم يوماً ليحكم بينكم لمّا اختلفتم من يضع الحجر الأسود في مكانه، فكان حكمه الحق، وهو الرجل الذي تلقبونه بالصادق الأمين، وهو الرجل الذي ما علمتم عليه كذباً، وهو الرجل الذي قال عنه جعفر رضي الله عنه للنجاشي: " حتى بعث الله فينا رجلاً يعرف أمانته وصدقه وعفافه ونسبه"، فلخص جعفر رضي الله عنه أخلاق النبي بثلاث أمور، الصدق والأمانة والعفة، وأي شخص تتوفر فيه هذه الأمور الثلاثة فهو على مرتبة عالية من الأخلاق، لأنها تجمع أصول الأخلاق ومكارم الأخلاق، تعرف أمانته وصدقه وعفافه، إن تكلم فهو صادق، إن عاملك فهو أمين، إن استثيرت شهوته فهو عفيف، ماذا بقي من مكارم الأخلاق؟

أنت إمّا تتكلم بالصدق، وإمّا تعامل الناس بالأمانة، وإمّا أنك في موقفٍ فيه شهوةٌ تُستثار، فأنت عفيفٌ عن المحارم والمأثم، قال تعرف قبل البعثة، نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، وبأني النسب تاجاً يُرفع هذه الثلاثة، فوجوده معها قوة، ووجوده من غيرها لا قيمة له، لكن النسب بعدها تاجٌ على رأس هذه الأخلاق الحميدة.

**(نَمْ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِّنْ جَنَّةٍ)** تعرفونه، وتعرفون أنه جاء بالحق، ولكنه يعارض مصالحكم، **(إِنَّ هُوَ إِلَّا تَذِيرٌ لَّكُمْ)** لخص هنا بعثته بالإنذار، لأنه يخاطب المشركين، والخطاب هنا بالبشارة ليس موضعه، الحكمة أن تتكلم الكلام المناسب في المكان المناسب، النبي صلى الله عليه وسلم بشيئٍ ونذير، لكن موطن الخطاب هنا لمن؟ للكافرين، فنبشروهم بماذا؟ قال: **(إِنَّ هُوَ إِلَّا تَذِيرٌ لَّكُمْ)** والنبي صلى الله عليه وسلم لمّا وقف بينهم وقال: كنتم مصدقين، قالوا نعم، قال: **(تَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ)** المكان هو مكان إنذار، وأحياناً يكون المقام مقام تشيير، وفي الأمور العامة المقام مقام يشارية ونذارة، يشارية بالخير وإنذار من السوء معاً، **(بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ)**.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
**فُلْ مَا سَأَلْتُمْ مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (47)**

(سورة سبأ)

## من الأسباب التي تدعو أتباع الرسل للاتباع ألا يسألهم أجراً:

من الأسباب التي تدعو المدعو أن يستمع لدعوة الداعي، ألا يطلب الداعي على دعوته أجراً، من الأسباب التي تدعو أتباع الرسل للاتباع ألا يسألهم أجراً، وهذا ما قاله كل الأنبياء، **(فُلْ مَا سَأَلْتُمْ مِّنْ أَجْرٍ)** ما سألكم عليه أجراً، إلا المودة في القربة، فالأجر متى أخذ المال أتهم بأنه يدعو بمقابل شيء، يريد منهم شيئاً، لكن لمّا يكون الداعي لا يريد من المدعو شيئاً إلا أن يستجيب للحق، فهذا من أسباب الاستجابة، فقال: **(فُلْ مَا سَأَلْتُمْ مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ)** أي هذا الذي أدعوكم هو في النتيجة خير لكم، **(فُلْ مَا سَأَلْتُمْ مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ)** لا أطلب الأجر إلا من الله، وقد ذكرت لكم سابقاً أنه لا أحد في الوجود لا يطلب أجراً على عمل أبداً، لا يوجد شخص بالوجود كله يعمل عملاً لا يريد من وراءه أجراً، لكن إمّا أن يكون الأجر في الدنيا، أو أن يكون طالباً للأجر عند الله، فالأجر موجود، لا أحد يعمل عملاً ويقول لك لا أريد شيئاً، والفالح والناجح هو الذي يدخر أجر كثيراً من أعماله عند الله تعالى، والمتسرع والذي لا يؤمن إلا بالشهادة هو الذي يستعجل دائماً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
**وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَدْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْرَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ (20)**

(سورة الأحقاف)

**(إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)** مُطَّلَعٌ جَلَّ جلاله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
**فُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَٰمَ الْغُيُوبِ (48) (فُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِيُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ (49)**

(سورة سبأ)

## الحق والباطل ثنائية، أحدهما ينقض وجود الآخر:

الحق والباطل ثنائية، أحدهما ينقض وجود الآخر، فإمّا حقٌ أو باطل، الحق هو الشيء الثابت، حَقَّ الشيء يحق إذا ثبت، والباطل هو الشيء الزائل والزهق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَرَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا (81)

(سورة الإسراء)

والحق هو الشيء الهادف، فكل شيء يهدف إلى خير فهو حق، وكل شيء عابث ليس له هدف فهو باطل، لو أنشأنا جامعة، الجامعة حق، بمصطلح أهل الدنيا، نُنشئها ونجعل فيها المكتبة والمختبرات العلمية، شيء ثابت له هدف وهو بناء الأجيال، وتخريج العلماء، لو أردنا أن ننشئ سيركاً لأيام العيد الثلاثة، ننشئه من مواد قابلة للإزالة فوراً، يبنى في ساعاتٍ ويزال في ساعات، فهو شيء عابث لا هدف له إلا بعض المتعة الزائلة، وزائل، فليس ثابتاً ولا هادفاً، الحق ثابت وهادف.

فرينا جلّ جلاله يقذف بالحق، القذف: هو الرمي بشدة، وكأن الله تعالى هنا بعد أن أمرهم بأن يقوموا لله وأن يتفكروا، وأن يُعملوا عقولهم ليصلوا إلى الحق، كأنهم قد يتوهمون أنّ الحق ضعيف، فبحاجتهم، فجاءت الآيات بشدة بعد ذلك **(قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ)** الحق قوي لا يحتاج ولا يحتاجني، الحق أقوى من أن يتقوى بي، الحق لا يتقوى بأحد، الباطل يحتاج إلى قوة تحميه، الحق لا يحتاجني ولا يحتاجك، لأن قوته تنبع من ذاته، لكن أنا الذي أحتاجه، فقال: **(قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ)** والقاذف عندما يرمي المقذوف، قد يصيب وقد لا يصيب، لكن الذي عنده علم يصيب، فقال: **(عَلَامُ الْغُيُوبِ)** العلام مبالغة من عالم، فهو كثير العلم جلّ جلاله، ويعلم الغيب فكيف لا يصيب بالحق مواضعه، القذف هو الرمي، وكان الله تعالى يُنشئ الحق بمقذوفٍ شديد، ترمي به فيصيب الهدف فيقضي على الباطل.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
بَلْ يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ (18)

(سورة الأنبياء)

يقذف بالحق على الباطل.

**(قُلْ جَاءَ الْحَقُّ)** وكان الحق رجُلٌ، هذا تشخيص، **(جَاءَ الْحَقُّ)** وكأنه شيء يأتي **(وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ)** أي لم يبق للباطل شيء إذا جاء الحق، لبيداه أو ليُعيد تكوينه، فقد أصبح لا شيء، لَمَّا يأتي الحق بقوته لا يبق للباطل وجود.

### الحق لا يضعف بضعف أتباعه:

لكن اليوم انتفش الباطل، فظنّ بعض ضعاف الإيمان أنّ الباطل فيه قوة، أو أنّ له ثبات، وأنّ له استمرار، وهذا من أعظم المحن، والله أيها الكرام نحن نعيش الآن أعظم فتنة في هذه الأيام، الفتنة غير موجودة عندما ترى الحق وقوة الحق، عندما عاش المسلمون في العصر الأموي وحتى في العصر العباسي أو قبلها في العصر الراشدي، الحق ظاهر القوة، والباطل منزوي، هناك وضوح بالرؤية، لكن اليوم عندما يظهر الباطل على أنه قوي فينتفش، ويشعر المسلم أنّ أهل الحق قد ضعفوا، فضعف الحق بضعفهم، والحق لا يضعف بضعف أتباعه، لكن يظهر ذلك للناس، ففي هذه اللحظات لا يثبت على الإيمان إلا من هو يقبض على دينه كما يقبض على الجمر

{ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يأتي على الناس زمان القابض على دينه كالقابض

على الجمر }

(رواه الترمذي)

لذلك قال صلى الله عليه وسلم أجر الواحد بسبعين، قالوا ممّا أم منهم، قال: بل منكم لأنكم تجدون على الخير معواً ولا يجدون.

{ قيل يا رسول الله أجر خمسين رجلاً منا أو منهم قال بل أجر خمسين منكم }

(الألباني صحيح الترغيب)

الأجر على قدر المشقة، انتفاش الباطل اليوم جعل الكثيرين ينساقون وراء الأعداء، يتزلفون لهم يتقربون منهم، يُطَبِّعون معهم، يتقربون من إعلامهم السيء، يتبنون الرواية الصهيونية البائسة، لماذا؟ لأن الباطل انتفش وأهل الحق انزروا بسبب الضعف الذي نحن فيه، والذي هو من صنع أيدينا شئنا أم أبتينا، هو تراكم سنوات غفلنا فيها عن ديننا وعن الدفاع عن حقنا.



فالله لا يرضى لأهلنا في عِزَّة ما يحصل، ولم يأمر به، لكنه جَلَّ جلاله سمح بوقوعه، أذن به، ليتخذ شهداء؟ نعم، ليرفع مقام من يرتفع؟ نعم، ليفصح المنافقين؟ نعم، لبيِّن قوة المرابطين؟ نعم، لبيِّن أنَّ أهل الحق متمسكون بحقهم؟ نعم، ليرينا من آياته في رضا من يرضى عن الله عزَّ وجلَّ رغم ما يجد من المحن والشدائد؟ نعم، ليرينا وهم في الخيام يفرؤون القرآن ويبردونه في جليءٍ واحدة، ونحن في رخاءٍ وعافية ولا نكاد نفتح المصحف في الأسبوع مرَّة؟ نعم، عدِّد ما سننت، أذن الله بذلك، وهو لا يرضاه ولا يحبه ولم يأمر به، ولن يُعفي أحداً من المسؤولية، وسيُحاسب الجميع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۚ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى  
كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (11)

(سورة النور)

لكن العقاب موجود، فما يقع في مُلك الله يقع بإذنه، لكن الله عزَّ وجلَّ يُجِئُه ويُهَيِّئُه بحكم جليلة وعظيمة لما فيه الخير في محصَّلة الأمر وفي نهايته، نعود إلى الآيات:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
فُلْ إِنْ صَلَّيْتَ فَإِنَّمَا أَصِلُّ عَلَى نَفْسِي ۚ وَإِنْ اهْتَدَيْتَ فِيمَا يُوجِي إِلَيَّ رَبِّي ۚ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ (50)

(سورة سبأ)

### الفعل فعل الله لكن الشر والصلال في الحقيقة هو سوء استخدام من الإنسان:

قلنا هذا أدب نعم، أنا صللتُ أنا صللت، أمَّا الهداية (فِيمَا يُوجِي إِلَيَّ رَبِّي) لكن في الحقيقة في العمق بعد الأدب مع الله عزَّ وجلَّ، في الحقيقة وفي العمق، الصلال هو فعلاً والشر فعلاً هو سوء استخدام من الإنسان، أنت عندما تتبع منهج الله تعالى، فأنت اهتديت بما يوحى إليك الله تعالى، لكن لما صللتُ عن الطريق هل الله تعالى هو الذي شرع طريق الصلال فصللتُ به أم أنا الذي صللتُ؟ في الحقيقة في العمق، في العمق الله تعالى قال لي اذهب من الهداية أنا الذي ذهبت في الصلال، هو لا يرضى لي طريق الصلال، لذلك قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ ۚ وَلَا تَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ۚ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (7)

(سورة الزمر)

الفعل فعل الله، لكن الشر والصلال في الحقيقة هو سوء استخدام من الإنسان، السيارة عندما تسير في الطريق المُعبَّد الأمور سليمة، لا يوجد أصوات، والوضع جيد، إذا قادها شابٌ منهوِّرٌ ونزل بها في الوادي فحطمها، ما تنظر إليها فتقول من الشركة الصانعة لهذا الدمار، سوء الاستخدام هو الذي أنشأ هذا الدمار، والله المثل الأعلى، فالله عزَّ وجلَّ ما أراد بنا سوءاً، ما أراد بنا شرّاً، أراد بنا الخير والهداية، لكن لما كنا مُخبرين، سلكتنا طريق الصلال، والعباد بالله، فضلنا، فهذا هو المعنى في العمق.

لكن لا شك أن كل ما يحدث في الكون، يحدث بإرادته جَلَّ جلاله، ولا يليق بمُلك الله، أن يحدث في ملكه شيء لا يريد، حاشاه جَلَّ جلاله، (فُلْ إِنْ صَلَّيْتَ فَإِنَّمَا أَصِلُّ عَلَى نَفْسِي ۚ وَإِنْ اهْتَدَيْتَ فِيمَا يُوجِي إِلَيَّ رَبِّي ۚ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ) صلاي على نفسي، يسمع الدعاء ويُجيبه، فهو قريب جَلَّ جلاله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ قَرَعُوا قُلُوبًا فَجَأْتُوا مِن مُّكَّانٍ قَرِيبٍ (51)

(وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ) هذه تشبه ما مرّ في السورة قبل ذلك:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ۚ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الطَّالِمُونَ مَوْفُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ  
بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضِعُوا لِلَّذِينَ اسْتَكَتَبُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ (31)

أين الجواب؟ ليس هناك جواب، أي ولو ترى لرأيت عجباً، (وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الطَّالِمُونَ مَوْفُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ) لرأيت دُلهم وانكسارهم وهوانهم، تركها مفتوحة، وهنا قال: (وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا) فرغوا من هول الحسر، من هول الصبحة، من هول الوقوف بين يدي الله، فلا فوت، فلا مهرب ولا منجا، انتهى في قبضة الله (وَأَجِدُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ) في الآخرة أصبحوا في قبضة الله، وكلنا في قبضة الله في كل حال، (وَأَجِدُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ) للعذاب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُشُ مِنْ مَّكَانٍ يَعِيدِ (52)

**العبرة أن تؤمن بالغيب لا أن تؤمن بالشهادة:**

وهذا يشبه إيمان فرعون لما أدركه العرق قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ كَغَيًّا وَعَدُوًّا ۚ حَتَّىٰ إِذَا أَذْرَكَ الْعَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ تَبُوءُ  
إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (90)

لكن فات الأوان، وبشبهه من دخل إلى الامتحان ولم يُجب على أي سؤال، ولما خرج فتح الكتاب فقال عرفت الأجوبة، فقيل له قد انتهى الوقت، (وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ وَأَجِدُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ) (51) وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُشُ) التناوش: هو التناول، يعني أنّي لهم تناول الهداية، تناول التوبة، الرجوع إلى الله، انتهى الوقت، من مكان بعيد، وقد أصبح بينهم وبين الدنيا التي هي موطن التكليف، بُعد شديد، انتهى الوقت، (وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُشُ مِنْ مَّكَانٍ يَعِيدِ) كل الناس إذا رأوا الشهادة يؤمنون، لكن المطلوب أن تؤمن بالغيب.

الإنسان الذي يرى العذاب فيؤمن هذا ليس إيماناً، أنت واقف في مكانك والنار بعيدة هناك، المطلوب أن تهرب الآن، أمّا إذا وصلت النار لا تقول سأهرب، انتهى الوقت، أحرقت النار من فيها، لذلك الدين هو إيمان بالغيب، أكررها دائماً ولا أمل منها، الدين غيب، أن تؤمن بالغيب، لا أن تؤمن بالشهادة، الشهادة انتهى الوقت، عندما يرى الناس العذاب سيؤمن الناس جميعاً، ولكن بعد فوات الأوان.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُشُ مِنْ مَّكَانٍ يَعِيدِ (52) وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ ۚ وَيَعْدِئُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ يَعِيدِ (53)



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَبَعْدُ فَوْنَ بِالْعَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ (53) وَجِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ  
(54)

(سورة سبأ)

(وَبَعْدُ فَوْنَ بِالْعَيْبِ) أي يرمون بالباطل، (وَجِيلَ بَيْنَهُمْ) الحيلولة هي أن يحول شيء بينك وبين شيء آخر، حائل، (وَجِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ) إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ) الإيمان يقين، لكنهم كانوا في شكٍ من أمر الآخرة، هل هناك آخرة أم ليس هناك آخرة، الآن في الآخرة هم يشتهون الإيمان لكن أنتهى الوقت (وَجِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ) أي من الناس الذين قبلهم.

الشيعة: هم الذين يتشايعون على شيء، أي يتفقون عليه، يعني فلان من شيعة فلان أي من حزبه، الأشباع هم الذين يتفقون على شيء واحد، أو يكون بينهم مُشْتَرَكٌ مُعَيَّنٌ، فالمكذبون أشباع، والمؤمنون من شيعةٍ أخرى (كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ) إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ) والحمد لله رب العالمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
الاسلامى